وتعليم ذاك الذي دعاهُ السيد المسيح بابي الكذب حيث قال (يوحنا ٨: ٤٤) : « انتم من ابليس وشهوات ابيكم تبتغون ان تعملوها هو من البدء قتّال الناس ولم يثبت على الحقّ لأنّهُ لا حقّ فيهِ. اذا تكلّم بالكذب فانّهُ يتكلّم بما هو لهُ لانهُ كذوب وابو الكذب». والسلام على من يطلب الهدى

دخول بطرس الرسول الى رومية

بمناسبة عيد القديسين الرسولين بطرس وبولس

لحضرة الخوري يوسف المشيتي

١

في السنة الثانية والاربعين دخل رومية رجل غريب ساهم الوجه موتهك المفاصل وقد تعصّب عرقاً من سفرٍ طويل شاقّ حافي القدمين حاسر الرأس اصلعهُ. لم تكد تطأ اقدامُهُ ارصفة رومية حتى تهالك على الارض من اللغوب لا تقلّهُ رجلاهُ. فتقدّم اليه حرّاس رومية ليظلموا طِلعَ امرهِ ولكنهم عندما شاهدوا خشونة منظرهِ ورثاثة اطمارهِ وفقر حالهِ هزأوا بهِ وسخروا منهُ غير مبالين به. غير ان هذا الغريب بادرهم بالسؤال عمّا في مدينتهم من الآثار والتحف. فاشاروا الى الهيكل العظيم المطلّ على عاصمتهم والمشرف على ممالك العالم ألا وهو هيكل جوبتير الذي يعبده اهل رومية. فللحال لثَمَ هذا الرجل الغريب اطرافه واخذ يغذّ في سيره مخترقاً شوارع رومية واحياءها وفي نفسه ما بها. ولو علم حرّاس رومية لحقّروا النظر الى هذا الرجل الغريب ولم يغترّوا بسذاجة منظره وضآلة هيئتهِ فان هذا الفقير الحامل الذكر الذي لم يُقيموا له وزناً ولم يُعيروه بالاً قد اتى عمداً ليهدم هيكلهم ليحطّم اصنامهم ليثلّ عرش ملكهم «وكل ما يصنعهُ ينجح» (مزمور ١: ٣)

ان هذا الغريب الذي شعرت بوطء اقدامه رومية واهتزت لهُ هياكلها وعروشها

هو أحد ابناء الجليل في فلسطين يدعى بطرس . في الامس كان صيّادًا على شواطئ بحر الجليل وهو اليوم رسول الله مجهّز وغدًا يجلس على عرش رومية ويبسط سلطته على كل العالم . فكأنما انطاكية المدينة المشهورة عاصمة سورية آنئذٍ لم تكن لتفي بامالي نفسه وتسدّ رغائب قلبه حتى قطع السهول والقفار وخاض عباب البحار قاصدًا رومية عاصمة الممالك المتمدنة ليجعلها عاصمة الدين المسيحي ويركز بها راية الصليب عَلَم المدنيّة الذي كان عارًا لدى الشعوب وعنوان الذلّ والسخرية

فلنتتبّع اليوم خطوات هذا الرجل الحامل الذكر ولننظر الى اعماله وما يكون من امره في نوادي رومية ومحاكمها ومن مقاصده في شعب شديد الشكيمة اقام تحت رواق العزّ وادرك ما لا يدركه غيره من مناعة الحوزة والانتصارات الباهرة حتى ساد على جميع الممالك والشعوب

لا ادري وأيمُ الله ما حَمَل هذا الجليليّ الذي لم يكن يدري من دنياه سوى صيد الاسماك وتصليح الشباك على تغرير نفسه واقتحامه هذه المخاطر بإعلانه الحرب العوان على رومية المتجبرة عاصمة ممالك العالم وإخضاع اهلها ؟ أبعُدّة وعَدَد وهو اعزل ؟ أبجدّة لسان وقوّة جنان وهو الشغ وجبان ؟ أبعلوم وفلسفة ولم يتعلّم على معلّم ويدخل مدرسة ؟ أبالثروة والمال وهو فقير الحال خاوي الوفاض بادي الانقاض لا يملك بُلغة من العيش ؟ . ومع ذلك ان هذا الجليليّ الحاسر الرأس الحافي القدمين المنهوك القوى ذا الاطمار البالية ترك بحيرة جنّاسر وسذاجة اهل وطنه ليجتاح رومية عاصمة العلوم والفنون . اتى رومية وقد طوى فؤادهُ على صريمة عزّاء وما لبث ان دخلها واشهر عليها الحرب العوان ونادى بملك غير ملك رومية وأعلن بشريعة غير شريعتها وآداب غير آدابها ودين غير دينها . وطفق يجول في الشوارع والساحات العمومية ودخل قصور الاشراف وبيوت العلم وهيكل جوبيتر العظيم يبشّر بالاله المصلوب

فانتصب اذ ذاك لمقاومته ثلاثة اعداء اشدّاء : الكفر . الفساد . الظلم . الكفرُ يخدّمه العهارةُ بعبيدها الظلمُ بحكّامه . غير ان هذا الرجل الغريب الذي رغبت عنه ابناء الكابيتول أنفةً واستكبارًا قد استظهر على رومية الغاشية ونشر فيها لواء المسيحية ورفع راية الصليب على قمة هيكل جوبيتر الذي تحوّل الى هيكل الاله

المصلوب جاءلاهذه المدينة الابدية عاصمةَ الدين المسيحي ومَشرق انوار التعاليم الالهية ومرجع النصرانيَّة في كل القارات المأهولة وهـا قد مضى عليها ١٩٠٠ سنة وهي لم تزل عرش بطرس الصيَّاد الى يوم المعاد

٢

لقد كانت الـديانة الوثنية انتقلت كواهل اهل رومية في ذلك العهد وكان قد شعر كبارها والسوادُ الاعظم فيهـا ببطلان ما يزعمون من امر اعتقاداتهم البـاطلة وسجودهم لكل قوى الطبيعـة ولأذلِّ المخلوقات فقامت قيـامةُ علماء الرومان وفلاسفتهم وخطبائهم هذا على ردّ زَعْم وذاك لتخطئة وَهْم فافتتحوا المدارس وكثُر عدد الطلبة وازداد الشقاق والخلاف بين آراء متبايتـة ومذاهب متناقضة فضلًا عمَّا كانت عليه الاحوال البشرية من الجهل والغرور بخصوص معرفة الالـه الحق وآلت عليه من التهتُّك وفساد الآداب . ولم تمرّ مدة على هذه الحال الَّا وظهر في رومية بطرس الصيَّاد يعلّم تعاليم جديدة ويدعو الجميع لاعتناق دين غريب . فاهتزَّ لهـذا الامر الجديد اعيان رومية وفلاسفتها وقاموا كلهم اجمع يندّدون بصاحب هذا الدين ويتوعَّدونهُ بما تنقضّ منه الجوانح حرصاً على تعاليمهم ذات المجون . ومن هو هذا يا تُرى الذي بلغت به الجرأة لهذا الحدّ يُغري اهل رومية على اتّباع دين جديد يخضد شوكة كبارهم ويحطّ من عظَمة ملوكهم ويَخزي حكمة علمائهم ؟ هو رجل يهودي من الجليل فقير الحال خامل الذكر لا صديق له ولا رفيق ولا مال ولا علم ولا . . . ولا . . مما يقضي بالعجب والذهول ويدلّ على فضول غير معقول وهو مع ذلك ينتقل من بيت الى بيت ليلتمس لـه ما يسدّ جوعه ويستر عريهُ بينما خطباء رومية يشنّفون المسامع بفصاحة كلامهم في المنابر والمجالس . واغنيازها تتردّى باعظم الحلى والملابس . وابطالها في شوارعها تتبختر وتتايس . وكهنتها يتدسّون بين العامَّة والخاصَّة ويدسّون الدسائس وهل يدور بخلَد احد ان صعلوك الجليل يُنازل اسد رومية ويستظهر عليه بل يسود عليه ؟

ولعُمري ما هي تعاليم ذلك الجليليّ التي اتى بها من فلسطين الى رومية عاصمة التمدن والعلوم ومقام القياصرة الفخام ؟ هي تعاليم مغايرة للطبع وفائقة العقل وهذا ما يقضي بالعجب والاستغراب : اله واحد بثلاثة اقانيم . اله صـار انسانًا . اسرار

توجب الايمان بها دون ان يُدرك العقل كُنهها

وليس عجيباً اذا قامت قيامة اهل رومية عند هذه التعاليم واخذوا يُطيلون عليها ألسنتهم ويتندّدون بها في مجتمعاتهم في مجالسهم في مياكلهم في مدارسهم ويَسِمون جبهة صاحبها بميسم العار والذلة

لكنَّ الجليليَّ لم يكن ليبالي بما يقال عن تعاليمه وما سيلاقيه من الاضطهاد بسبيل انتشارها ولم يتثبَّط قط عن مواصلة البشرى بالاله المصلوب حتى استظهر اخيراً على رومية وعلمائها واخضع اعناقهم لدين الاله المصلوب فلم تتلكأ ان كفرَتْ بآلهتها وجحدت معتقدها وصرّحت بايمانها: أومن «Credo»

وحذا حذو رومية ايطالية فصرخت بدَوْرها: أومن. ولم تلبث اسبانية ان جاهرت بايمانها: أومن

ولم تتريث فرنسة ان نهجت سبيل رومية فجاهرت بايمانها: اومن

مات الجليلي ولكن تعاليمه لم تمت. أتيتا عاصمة فلاسفة اليونان حطّمت اصنامها وهدمت هياكلها واقامت على انقاضها هيكلاً للاله المصلوب وصرّحت بايمانها: أومن

المانية انكلترة روسية اميركة افريقية جزائر اوقيانية وكل ممالك الارض ما عدا القليل منها ما عتّمت ان أعلنت على رؤوس الملا ايمانها: أومن. الاجيال تمرّ والعصور تكرّ ولم تزل نسمع في كل جهة من كل أمّة من كل لغة من جهات المعمورة ترديد تعاليم ذلك الجليلي: أومن. فأين ما تشدّق به ڤولتير «لم يبق لهذه المشعبذة (اي الكنيسة) الأسنين قلائل وتُمحى معالمها وتُطمس آثارها» واين ما تساءل عنه جوفروا الكاتب الشهير «كيف تضمحل هذه العقائد وتزول» بلكم وكم من اصحاب الفلسفة الكاذبة ودعاة العلم والمدنيَّة الفاسدة الذين يرددون بقحة هذه الاقوال عينها ويرقبون (وقد نضَبَ معينُ اصطبارهم) سقوطَ هذا البناء الشامخ الذي يرتفع حتى السماء... كل هؤلاء يبادون جميعاً ويضمحلّون سريعاً والكنيسة لا تزال كنيسة المسيح ترتل هذا المديح من ١٩٠٠ سنة: «انت هو الصخرة»

٣

رومية وما ادراك ما رومية لدُنْ دخلها ذلك الجليلي الحامل الذكر. كبرياء اغوسطوس جشع طيباريوس شرّه كاليغولا، قد توفرت هذه جميعها بالذئب الكاسر

نيرون وبثت سنته وحكمت بحكمه

فلشل هذه العصابة اتى ذلك الجليلي ليبشرها بانجيل سيده أتستقيم على الطريقة المثلى وتنتهي عما هي فيه من الضلال والجهالة . . ولكن باي عدة او عدد او علة او مدد يظفر الصياد على هذه العصابة المتجبرة ويخضعها لتعاليمه فتأتمر بأوامره وتنقاد اليه صاغرة ؟

فمن اين له المال ولا منال دون المال والجميع يطلبونه ؟

من اين له الوجاهة والرفعة ومجد هذه الحياة والجميع يسعون وراءها ؟ بل أنى له ان يمكن اهل رومية مما يطلبون وهم اناسٌ مُترَفون يتدفقون في الباطل ويسألون الشهوات الذاتية وملاذ الحواس ؟

*

ما بلغ تعليمهُ مسامع نيرون حتى صرخ : « جنود . حراس . قواد . العجل العجل الدار الدار . عليكم بهذا الصعلوك الحقير الذي اتصل بجهله وقحته على اهانة الوهيتي أونقوه على عجل واقتادوه خارج المدينة وهناك أميتوهُ شرَّ ميتة واجعلوهُ اعجوبةً للناظر ومثالًا للسامع . وأما تابعوه فنكلوا بهم انكأ العقوبة اجلدوهم احرقوهم أعدموهم

لم يدرِ نيرون انَّ دم بطرس وتابعيه هو مطر وسمي يُحيي ارض رومية فتنبت اضعافاً ولم يزل هذا الدم يُخصب الارض منذ ما سقاها بطرس حتى الآن . ولم تمرّ ثلاثة اجيال على رومية حتى قام قسطنطين الكبير ملكاً عليها فأهدى لبطرس ارجوانَ نيرون وعرشهُ . وبعد مرور ثانية اجيال قام كارلوس الكبير واجلس خلف بطرس الصياد على العرش عينه والبسه الارجوان ذاتهُ ومذ ذاك الحين اخذ الملوك والامراء وكبار العالم يتقلدون رومية ويطرحون اكليلهم وصولجتهم الملوكية عند اقدام خليفة الجليلي بطرس ولا يزال في مدينة القياصرة حتى اليوم والى منتهى الاجيال قبر ذلك الجليلي محفوفاً بالتجلة والاكرام يؤمهُ الزوار وتفد اليه الوفود من كل جهة بينما هم يدوسون قبر نيرون مدفن الظالم والبغي الذي يبعد قليلًا عن قبر بطرس

ومهما ثارت العواصف والزوابع واشتدت الاضطهادات فلا يمكن لقوة من قوات الارض ان تحوّل ابصار العالم عن ذلك العرش الذي اقامت يدُ الليّ بطرس

عليه فلا اثينيون ولا ثالانسة ولا فوتنيبلو يمكنها ان تكون مرشاً لبطرس الذي يمكنه القول بكل عدل وحق : «حيثما أكن انا تكن رومية» . مات نيرون وبطرس لم يمت . قُضي على ترايانوس في الاجيال الاولى وبطرس حيّ . رُدِّيَ يوليانوس ولم يردَّ بطرس . أُودي لوتاروس في الجيل السادس عشر وبطرس حيّ يدير سكّان سفينته بحذق ونشاط . ثوى فولتير وبطرس يواصل تدبير كنيسته . وسيلحق اصحابُ الفلسفة المستحدثة وانباء هذا العصر ممن ادّعوا المدنيّة الحقة واستبدال تعاليم بطرس بما اختلقوه ولفّقوه من المبادئ القتّالة باولئك الطغاة وبطرس لم يزل بطرس ولن يزال سيد رومية ورأس الكنيسة المنظور تعنو له الرقاب في كل زمان ومكان على ممرّ الاحقاب . تنقرض الامم تباد الممالك تَندكُّ العروش تتصرّم الاجيال وكنيسة بطرس ثابتة تنظر الى اعدائها ومضطهديها يبلَون من امامها كالدخان ويضمحلّون سريعاً وهي تردّد قول معلمها الالهي دون انقطاع : يا بطرس انت الصخرة ! . .

مطبوعات شرقية جديدة

F. Prat S. J : St Paul. 1 Vol. in-12, pp. VI: 208, 6e éd., 1922. Collection «Les Saints». *Paris, V. Lecoffre*

بولس الرسول

الاب فردينند پرا اليسوعيّ نزيل كليّتنا سابقاً اشتهر بتآليفه الكتابية العديدة واخصها بكتابه المتون بلاهوت بولس الرسول الذي اجمع على ثنائه كل مفسّري الاسفار المقدّسة . واليه عَهدتْ جمعيّة تُعنى منذ زمن مديد بنشر تراجم القديسين تأليفَ ترجمة القديس بولس فتولّى هذا العمل واخرجهُ على صورة جديدة تأخذ بمجامع القلوب . وقد جمع المؤلف معلوماته من اعمال الرسل التي كتبها القديس لوقا ومن الدقائق التاريخيّة التي اودعها الرسول في رسائله ومن بعض التقاليد التي رواها مؤرخو الكنيسة الاولون فدمج كلّ هذه الاخبار فاتى بها متواصفة النظم متلاحمة الاطراف بانشاء بليغ جامع مانع يسبي لبَّ قارئه لاسيما انَّ المؤلف زار البلاد التي تجوّل فيها